

الاستشراق البلقـــاني
خصائصه وأثره على المسلمين

إعداد الدكتور:

محمد بن عيسى صلاح الحربي

تخصص الدعـوة والثقافة الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينـة المنورة

المملكـة العربيـة السعـودية

البريد الإلكتروني: E.Mail:aborayaan@gmail.com






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية



ملخص البحث

يتناول هذا البحث الاستشراق في البلقان التي تضم كلاً من ألبانيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا والجبل الأسود وكوسوفو ومقدونيا وغيرها، وهي دول تقع جغرافيًا بين الشرق والغرب مما أكسبها أهمية بالغة وموقعًا جيداً لاحتضان الثقافات والأديان السماوية السابقة للإسلام كاليهودية والنصرانية مما جعلها محط أنظار المستشرقين. دخلها الإسلام إبّان انتشاره في أوربا في القرن الأول الهجري، واستهدفت هذه البلاد الإسلامية في ثقافتها ووثائقها من قبل آلة حربية تحمل روحًا عدائيًا ضد الإسلام والمسلمين. وظهرت المعاهد الاستشراقية ومن أبرزها معهد سرايفو الاستشراقي ومعهد بلغراد الاستشراقي وتميز الاستشراق البلقاني بأنه كان عظيم الارتباط بثقافة الشعوب الشرقية. وقد توصل البحث إلى أن العلماء المسلمين قد واجهوا كثيراً من الاعتداءات وتلقت مدرستهم المعتدلة العديد من الضربات المتعمدة وأتلفت كتبهم وحرقت مكتباتهم. وتوصل البحث إلى أن الاستشراق البلقاني يتشابه مع الاستشراق الروسي ويتقاطع معه في كثير من النقاط قد يكون لقرب المسافة بينهما دور في ذلك. وأوصي في نهاية هذا البحث بدراسة النتاج العلمي للمستشرقين البلقان أيًّا كان توجههم، وبذل الجهد للنقد العلمي الهادف للنتاج العلمي للمغرضين. والاهتمام عمومًا بنقد كتب المستشرقين وآرائهم حول الإسلام؛ لما فيها الدّس والشّبهات على الإسلام والمسلمين، وترجمة كتبهم والرد عليها لبيان خطورة الآراء والأحكام التي روّجوا لها في كتبهم.

الكلمات المفتاحية : الاستشراق – البلقان – الإسلام في أوروبا – سرايفو – الاضطهاد

Balkan Orientalism

By: Mohammed Bin Essa Salah Al-Harbi
Ministry of Education
Kingdom of Saudi Arabia
E.Mail:aborayaan@gmail.com



Abstract

This research handles orientalism in the Balkan area which includes Albania, Bosnia and Herzegovina, Bulgaria, Montenegro, Kosovo, Macedonia and other states which geographically mediate the distance between the East and the West. Therefore, those states gained an overarching importance and location to embrace cultures and divine religions prior to Islam such as Judaism and Christianity. Accordingly, this area has attracted the attention of orientalists. Shortly after its spread in Europe in the first century of Hijrah, Islam has been introduced to this area something that has turned those states, their cultures and documents into a target for the war machine with its hostile spirit against Muslims and Islam. Hence, oriental institutes, such as Sarajevo and Belgrade Oriental Institutes, have appeared. Balkan orientalism has been characterized by being closely related to the culture of oriental peoples. The research at hand has found out that Muslim scholars have faced a lot of aggression and their moderate schools have also received a lot of violent attacks that damaged their books and burned their libraries. The research has also found out that Balkan orientalism seems like Russian orientalism since they intersect across many points due to the short distance separating them. By the end of the research, the researcher recommends to study the scientific output of the Balkan orientalists regardless of their orientation. He also recommends that efforts should be exerted to criticize the scientific output of the imposters as well as focusing attention on criticizing the books of the orientalists and their views of Islam because of their intrigues and suspicions against Muslims and Islam. Their books should also be translated and refuted to show the seriousness of their views and the arbitrary judgments which they have propagated in their books.

Key Words: orientalism, Balkans, Islam in Europe, Sarajevo, persecution.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، أما بعد:

فقد أكرم الله هذه الأمة بأن أرسل لها سيد الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم، وجعله الرسول الخاتم لمن سبقه، فلا كتاب بعده ولا رسالة ولا نبوءة. ولم يبق أحد على وجه الأرض لم يسمع بأن هناك نبيًا ظهر في البلاد العربية، وكانت رسالته عامة شاملة خالدة إلى يوم القيامة.

بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، ولم يتوقف نشر الدين بوفاته صلى الله عليه وسلم بل استمر على يد خلفائه الميامين ابتداءً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وما قام به من جهود عظيمة في محاربة المرتدين ومن بعدهم من الكفار وجعل الله في أيامه خيراً عظيمًا ونفعًا بليغًا، أعاد الجزيرة إلى دولة إسلامية واحدة ثم انتقل إلى البلاد الأخرى يفتحها البلد تلو البلد. وبعد وفاته وانتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ازدادت رقعة الدولة الإسلامية، وكذا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم تتابعت الفتوحات على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وبلغت الدولة الإسلامية قمة مجدها وازدهارها وجاءت الدولة العباسية وسلكت نفس الاتجاه إلى أن جاءت الدولة العثمانية وكانت لها هنات وجهود موفقة في انتشار الإسلام(١).

واستمر انتشار الإسلام حتى وصل إلى شبه جزيرة البلقان في بدايات القرن

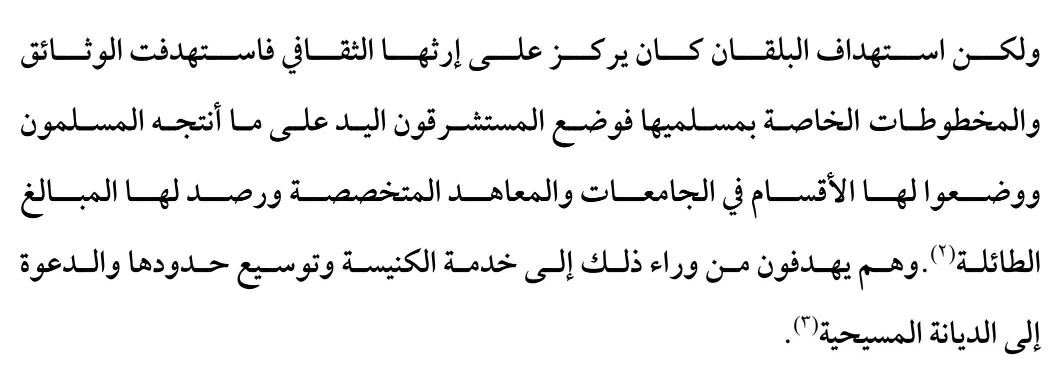
---

(١) غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط٤، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص: (١٥٩)،ج ١.



الهجري الأول، وخضعت للحكم الإسلامي منذ عام ٧٩٧هـ، وهي من أهم المناطق الإسلامية في القارة الأوروبية، ومن أهم منابر الدعوة الإسلامية في هذا الجزء من العالم حتى أطلق الرحالة المستشرقون الأوربيون على بلغراد بوابة الشرق.

مرت البلقان بهزات كبرى، يقول الباحث خير الدين مويا: إن تاريخ البلقان، ما هو إلا تاريخ الشعوب التي كانت تعيش أحيانًا في سلام وأحيانا في نزاع[١].



ولكن استهداف البلقان كان يركز على إرثها الثقافي فاستهدفت الوثائق والمخطوطات الخاصة بمسلميها فوضع المستشرقون اليد على ما أنتجه المسلمون ووضعوا لها الأقسام في الجامعات والمعاهد المتخصصة ورصد لها المبالغ الطائلة[٢].وهم يهدفون من وراء ذلك إلى خدمة الكنيسة وتوسيع حدودها والدعوة إلى الديانة المسيحية[٣].

واتجه الاهتمام إلى دراسة هذا التراث وتمّ إنشاء مراكز ومعاهد لهذا الغرض كمعهد بلغراد ومعهد سراييفو وهما أهم المراكز الاستشراقية التي احتضنتها جامعات البلقان، فتأسس قسم لدراسة الاستشراق في بلغراد، ثم قسم ثانٍ في بريشتينا، ثم اهتمت بلغاريا بالاستشراق بعد ذلك، فجاء معهد الاستشراق في سراييفو وضم رهطًا من المستشرقين، ويدرس هذا المعهد علوم المسلمين على أنها لا تعدو أن تكون نابعة من دين انتشر باعتماده على الظروف المساعدة" [٤].

ويذكر د. محمد الأرناؤوط أن بدايات الاستشراق البلقاني ومدارسه تعود إلى

---

(١) خير الدين مويا، الإسلام والمسلمون في الجبل الأسود، مايو/ أيار، ٢٠١٤، ص:(١١)

(٢) مثل معهد بلقراد ومعهد برستينا ومعهد تيرانا.

(٣) محمد البهي، التفكير الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٨٣هـ ص:(٧٣).

(٤) المفهوم الآخر للاستشراق ص:(٢٤٧).

رائدين من البوسنة، هما صفوت باشاغيتش الذي درس التركية والعربية والفارسية، وفهيم بايراكتاروفيتش الذي بدأ بالدراسات العربية ثم انشغل بالفارسية والتركية.

ويقول د. علي النملة أن دخول البلقان في الحكم العثماني على يد محمد الفاتح يمثِّل انطلاقة الاستشراق البلقاني[1].

ويرى الأرناؤوط إن مؤسِّس الاستشراق العلمي في يوغوسلافيا التي تفككت إلى دويلات عديدة هو بايراكتاروفيتش، كما يَذكر أن كلشي هو رائد الاستشراق الألباني في يوغوسلافيا [2].

أهميةُ الموضوعِ وأسبابُ اختياره

وقوع شبه الجزيرة البلقانية بين الشرق والغرب أتاح لها احتضان جميع الأديان السماوية، اليهودية والنصرانية والإسلام، على تفاوت في مدى هذا الاحتضان. وهذا أكسبها بُعدًا خاصًّا أثَّر في رؤية المستشرقين لها مما حتم المواجهة العلمية بالحجة والبرهان والبيان. إذ الاستشراق في ظل النظام العالمي الجديد هو "استكشاف وتوجيه ومواجهه لكل ما يتعلق بالإسلام والمواجهة حتمية ومتوقعة"[3].

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع الاستشراق البلقاني: توجه المدارس الاستشراقية بشكلٍ عامٍ إلى التركيز في دراساتها على المناطقِ الإسلاميةِ الشرقيةِ، وذلك عبر توصياتها في المؤتمرات العلمية والدوريات والمجلات والمؤلفات وغيرها، وظهر ذلك جلياً

---

(١) علي النملة، الاستشراق البلقاني والتجسير الثقافي: رؤية في المفهوم، ص:(٢١) .

(٢)محمد م. الأرناؤوط. البلقان من الشرق إلى الاستشراق، الدوحة، منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠١٤م، ص(٢٢٤).

(٣)محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه ومدارسه وآثاره، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، آيسكو، ١٤٣٢هـ، ص:(٣٤).



من خلال الدراسات المنشورة لتلك المدارس الاستشراقية واستهدافهم الإسلام والتشكيك في المعتقدات والأصول ودعم المناهج المخالفة للمنهج القويم وإحلالها رويداً رويداً.



وقد بحثتُ عن الاستشراق البلقاني في المراجع العربية التي استطعت الوصول إليها وأزعم إني بذلت جهدي في ذلك، فتبين لي أنه لم يلق تغطية كافيةٍ تليق به. وما وُجد في المواقع الإلكترونية غير كاف ولا مشفٍ للغليل، "بيد أنَّ كتابًا مرجعيًّا حول الدراسات العربية والإسلامية في أوروبَّا لم يُعر البلقان أيَّ اهتمام، رغم شموليةَّ التغطية فيه وعمق التحليل الذي تحلَّى به الكتاب."[١] كما رجعت إلى الكتاب الموسوعي عن الاستشراق لنجيب العقيقي فلم أجد فيه ذكرًا للاستشراق البلقاني سوى ما ذكره عن الاستشراق المجري، رغم إحاطة الموسوعة بالاستشراق الأوروبي على مستوى البلدان.[٢]

وبشكل أكثر تحديداً فإن أهمية الدراسة تكمن في الأبعاد التالية: -

١. أنني لم أجد من سبقني من الباحثين بإفراد هذا الموضوع بورقة بحثية أو رسالة جامعية فيما أعلم، فالدراسات السابقة تناولت الاستشراق بصفة عامة أو بعض المدارس الاستشراقية ولم تكن على المنهج الذي سأسير عليه في هذا البحث.
٢. تزايد الاهتمام لدى الباحثين البلقانيين والأوربيين عامة بالحضارة التي سببها انتشار الإسلام في شبه جزيرة البلقان إذ اعتبروه من الأحداث المهمة في التاريخ الثقافي والحضاري لأوروبا.
٣. أهمية الدور الذي لعبه المستشرقون وذلك بإذكاء الحروب والمساهمة بتحويل بلاد البلقان من الطابع الإسلامي إلى الطابع الأوربي.

---

(١) انظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبَّا حتَّى بداية القرن العشرين نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠١م، ص(٣٥٢).

(٢) انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م، الصفحات: (٣٦ - ٥٠).

٤. القرب الجغرافي إذ تعد البلقان أقرب مناطق أوربا إلى الجزيرة العربية وهو ما كان له أثره الواضح في التأثير الثقافي والتاريخي.

٥. إطلاق الرحالة المستشرقون الأوربيون على بلغراد بوابة الشرق.

أهدافُ الدراسة

١. معرفة تاريخ البلقان الاستشراقي وبداياته فيها.

٢. معرفة الدور الذي لعبه المستشرقون الحاقدون في الحروب البلقانية.

٣. معرفة أهم معاهد الاستشراق البلقاني والدور الذي تقوم به.

٤. استخلاص خصائص الاستشراق البلقاني وما لذي ينفرد به من بين المدارس الاستشراقية الأخرى.

مشكلةُ الدّراسةِ وأسئلتها وحُدودها

مشكلة الدراسة:

تعرضت معاهد الاستشراق في البلقان لضربات موجعة واستهدف بعضها بالمدفعية الثقيلة حولتها إلى أنقاض كما حصل لمعهد الاستشراق في سراييفو الذي استهدف بمدفعية ثقيلة حولته إلى أنقاض واحترقت كل مكتبة المعهد دون مقتنياتها[١] وهذا الاستهداف أمر يستدعي الوقوف عنده! فما الذي يحويه هذا المعهد ويجعله عرضة للقصف والدمار، والحقيقة أنه لم يعد خافيًا محاولة القضاء على التراث الإسلامي وتعاون الاستعمار الغربي وعلماء الاستشراق على التخطيط لغزو العالم الإسلامي فكريًا، وترسيخ مفاهيم الغرب فيه، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب، ولا يخفى على ذي لب اهتمام الغربيين ومراكز الاستشراق في

(١) موفاكو، محمد، دور الاستشراق البوسنوي في التعريف بالأدب العربي، http://www.middleeastonline.com/?id=98945. (20/10/2010م)، ملخَّص البحث المشارك في الدورة الثانية عشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري "دورة خليل مطران ومحمد علي/ ماك دزدار" سراييفو ١٩ - ٢١/ ١٠/ ٢٠١٠م».

الجامعات الغربية والشرقية بالدراسات الاستشراقية والطعن في خاصرة الأمة بواسطة هؤلاء المستشرقين الذين تدعمهم حكومات ومنظمات وقد أُنشئ لخدمتهم جمعيات ومعاهد استشراقية. يأتي هذا في غفلة من المسلمين وتأثر بعض أبنائها بأفكار بعض أعدائها والتطفل على موائدهم مما يحتم على طلبة العلم والباحثين مقارعة الخطوب وبيان الحق ورد مطامع الطامعين وتجلية أفكار المندسين.





أسئلة الدراسة: جاءت هذه الدراسة لتجيب عن بعض التساؤلات كـ:

١. ما هو تعريف الاستشراق وكيف عرفه علماء البلقان أنفسهم؟
٢. ما هو الدور الذي لعبه المستشرقون في الحروب البلقانية؟
٣. ماهي أهم معاهد الاستشراق البلقاني وأهم روادها؟
٤. ماهي خصائص الاستشراق البلقاني التي يتميز بها عن غيره؟

حدودُ البحث:

سيقتصر هذا البحث على دراسة ما يتعلق بالاستشراق البلقاني والذي يدخل فيه جغرافيًا كل من: ألبانيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا والجبل الأسود وكوسوفو ومقدونيا واليونان وجزء من إيطاليا وغيرها.

الدراسات السابقة

قام الباحث بما يلي:

استعراض فهارس رسائل الماجستير والدكتوراه في الأقسام مظنة طرقه فيها، واستعراض دليل الرسائل الجامعية الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.، وكذلك إجراء عمليات بحث واسعة باستخدام محركات البحث العربية في مجال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

ثم لم يجد الباحث – حسب علمه – دراسة علمية تناولت هذا الموضوع بحثًا أكاديميًا معاصرًا متعلقًا بالاستشراق البلقاني، إلا أن هناك كتب محدودة في هذا المجال وهي كالتالي:

الكتاب الأول: بعنوان: البلقان من الشرق إلى الاستشراق لمحمد الأرناؤوط ويقع الكتاب في ٢٢٢ صفحة، تضم مقدمة وثلاثة أقسام.

أوضح المؤلف في مقدمة كتابه غاية الكتاب التي تتلخص في الربط بين التاريخ الحديث والمعاصر للبلقان.



وقد اشتملت المقدمة على إضاءة تاريخية، وجغرافية عن منطقة البلقان، كما تعرض الكتاب باستفاضة إلى التطورات السياسية التي مرت بها المنطقة، وكذا الحروب والتجاذبات التي كانت مسرحا لها.

وتحدث في القسم الأول من الكتاب عن الدور المحوري لبلغراد التي مثلت بوابة الشرق في أوروبا حتى نهاية القرن التاسع عشر، كما تضمن صورة عن البوسنة خلال الحكم النمساوي، واختتم هذا القسم بالحديث عن ألبانيا حتى مطلع القرن العشرين.

وتحدث في القسم الثاني من الكتاب عن تطور المفهوم من الشرق إلى الاستشراق،

أما القسم الثالث من الكتاب فقد خصص للتعريف بالمؤسسات والشخصيات الهامة في منطقة البلقان من مراكز استشراقية، وشخصيات علمية.

الدراسة الثانية بعنوان: مراجعة الاستشراق ثنائية الذات - الآخر يوغسلافيا نموذجًا- تأليف محمد م. الأرناؤوط وهو عبارة عن عدة دراسات كالتالي: -

أولاً: دراسة بعنوان "مفهوم الآخر للاستشراق في يوغسلافيا" يستعرض فيه الباحث الظروف التي برزت فيها الأفكار والجهود الأولى لبلورة مفهوم آخر للاستشراق في البلقان، ثم هناك دراسة أخرى بعنوان "الافتراق في الاستشراق اليوغسلافي: توضح الظروف الجديدة التي أدت إلى تبلور الفرز بين مفهومين/ فريقين مختلفين في إطار الاستشراق في يوغسلافيا، وتأتي الدراسة الثالثة "تسييس الاستشراق: لتوضح كيف تم توظيف الاستشراق لخدمة السيناريو الجديد للانقلاب على يوغسلافيا.

وبالإضافة إلى هذه الدراسات المحورية يوجد في الكتاب مقالات عن مؤسسات الاستشراق وشخصيات رائدة ومراجعات لكتب توضح كلها السياق العام لهذا



التطور الذي ميّز الاستشراق في يوغسلافيا.

خطة البحث

ينتظم هذ البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة تفصيلها على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المبحث الثاني: التاريخ البلقاني والاستشراق. وفيه مطالب ثلاثة

المطلب الأول: الفتح العثماني لبلاد البلقان.

المطلب الثاني: زوال الحكم العثماني في البلقان.

المطلب الثالث: دور المستشرقين في الحروب البلقانية.

المبحث الثالث: أشهر معاهد الاستشراق البلقاني. وفيه مطلبان

المطلب الأول: معهد بلغراد الاستشراقي.

المطلب الثاني: معهد سراييفو الاستشراقي.

المبحث الرابع: خصائص الاستشراق البلقاني وأثره على المسلمين وفيه مطلبان.

المطلب الأول: خصائص الاستشراق البلقاني.

المطلب الثاني: أثر الاستشراق على المسلمين ودور علمائهم نحوه.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات وثبت بالمراجع والمصادر.

منهج البحث:

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوصف طبيعة الاستشراق البلقاني وتحليل ما سيحصل عليه الباحث من معلومات، وهو المنهج الذي "يقوم بوصف ما هو كائن وتفسيره وتحديد الظروف والعلاقات التي توجد في الواقع، وتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة فيه" (١)، وذلك لمناسبة هذا المنهج للدراسة الحالية.

---

(١) جابر عبد الحميد وأحمد كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار النهضة، ط٢،(١٩٧٨)، ص:(٣٣)

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

أثار الاستشراق جدلاً واسعاً بين العلماء من حيث تعريفه، وتحديد مفاهيمه، والوقوف على ظروف نشأته، وأهدافه التي يسعى لتحقيقها، وهل للكلمة أصلٌ في معاجم اللّغة العربية، أم أنها مستحدثة لم يعرفها القدماء، وهل ضاقت به لغة الضاد التي وسعت قبله كتاب الله، وما سبب التباين في تعريفه من باحث لآخر؟ ولماذا يرى بعضُ الباحثين تعريفه عصياً أو ضرباً من المحال[1] ولماذا نذر كثير من المستشرقين حياتهم خدمةً للاستشراق!؟

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أ- الاستشراق في اللّغة:

مصطلح الاستشراق جاء متأخراً جداً، ولم ترد كلمة "استشراق" في مؤلفات القدامى، بل لم ترد في معاجم اللّغة العربية المختلفة[2] حيث ذكر بعض الباحثين أن الاستشراق نفسه لم ينشأ إلا في عام ١٨٧٣م.

ويرى بعضهم أن أول إطلاق له يرجع تاريخه إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ثم شهد أواخر القرن الثامن عشر الميلادي دخول هذ المصطلح إلى القاموس الإنجليزي، ثم تطور إلى أن دخل القاموس العربي مترجماً عن المصطلح الأجنبي Orientalism، بعد استعماله في فرنسا لأول مره سنة ١٧٩٩م، وبعدها في الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م.[3]

وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) والبحث في كلمة شرق Orient نجد أنه يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية

---

(١) انظر: عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، دراسات المستشرقين الألمان، ص:(١٦)، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ١٤٣١هـ.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ص:(١/ ١٧٣)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص:(٣/ ٢٨٤)، الأزهري، تهذيب اللّغة، ص:(٨/ ٣٢٦)، الجوهري، الصحاح، ص:(٢/ ١٥٠٠)، وغيرها.

(٣) محمد الزيادي، الاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد١٠، ص:(٦٠٥)، ١٩٩٤م.



بكلمةٍ تتميز بطابع معنوي وهو (Morgenland) وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك تُستخدم في اللّغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء؛ لتدل على الظلام والراحة [١].

وبهذا يتبين أن المدلول الجغرافي لكلمة الشرق المستخدمة في العملية الاستشراقية غير محدد تحديداً دقيقًا، ويؤيد ما ذهب إليه الباحث ما جاء في مجلة عالم الفكر، حيث جاء فيها "يصعب تحديد المدلول الجغرافي لكلمة الشرق المستخدمة في العملية الاستشراقية، التي اتسعت بالتدريج وبخطى ثابتة، بحيث شمل اهتمام المستشرقين كل تلك المنطقة الجغرافية الواسعة التي تغطي نصف العالم، والتي حاولت أن تستوعب جميع أنواع المعارف والتخصصات مادامت تعالج موضوعات ذات صلة بتلك المنطقة" [٢].

وقد عرفه علي النملة بأنه "إسهام علماء مفكرين غير مسلمين شرقيين أو غربيين في العلوم الإسلامية وفي تقاليد الشعوب الإسلامية وعاداتها وآدابها، بغض النظر عن وجهة هؤلاء العلماء الجغرافية، وبقطع النظر عن مكان الشعوب الإسلامية من الأرض، وعن اللّغة التي تتكلم بها هذه الشعوب، بحيث يشمل المفهوم الآسيويين عامة والأفارقة والعرب من غير المسلمين" [٣].

ويرى الباحث: أن تعريف علي النملة للاستشراق أكثر دقة من غيره، إذ يذكر فيه أن الاستشراق إسهام، ويؤكد على الناحية الجغرافية المتعلقة بالمستشرق أو الشعوب

---

(١) انظر: السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، العدد٢٢، ص: (٢١١)، ١٤١٤هـ.

(٢) أحمد أبو زيدان، الاستشراق والمستشرقين، مجلة عالم الفكر، العدد٣، ص:(٢٦٣-٢٦٤)، ١٩٧٩م.

(٣) علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ، ص:(٢٥).

التي وقع عليها الإسهام الذي يذكره، لكنه لم يتطرق لنوع هذا الإسهام الذي قدمه المستشرق هل هو إسهام نافع أم ضار، وهل يحمل دوافع عدائية أم غيرها، وهل هو موضوعي أم غير موضوعي.

وعرفه مازن مطبقاني بتعريف طويل فيقول "كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفييت، وأمريكيين من دراسات أكاديمية جامعية تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن. ويلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنّوا كثيراً من أفكار المستشرقين ".[١]

ويرى الباحث: أن مطبقاني قد وفق في اختيار تعريف مناسب للاستشراق إلى حدٍ ما، ولكنه عرفه بشكل طويل جداً، حتى كاد أن يخرج به عن أن يكون تعريفًا إلى أن يكون وصفًا. ولكنه استوفى أغلب جوانب العمل الاستشراقي، وحرص على أن لا يفوته شيء، فجمع بين الحاضر والماضي والمستقبل والمجالات والوسائل والأساليب. وهو يُلحق بتعريفه للاستشراق كل من ينظر للإسلام من المنظار الغربي الحاقد. وهذا التعميم غير مقبول في البحوث العلمية.

وعرفه من غير المسلمين جويدي[٢] بقوله: هو الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل

---

(١) مازن مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٦، ص:(٤).

(٢) جويدي: مستشرق إيطالي عالم بالعربية والحبشية والسريانية وُلِد في رومة سنة ١٢٦٠هـ، واسمه: إغناطيوس والإيطاليون يلفظونها إينياتسيو، وقد اشتُهر باسم جويدي Ignazio Guidi وهو من أعضاء المجمع العلمي العربيّ، كان شيخ المستشرقين في عصره، كان أستاذاً في الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م، وكان يلقي محاضراته بالعربية، واستمر في ذلك بضع سنين، ومن كتبه العربية: محاضرات أدبيات



بين الشرق والغرب. ويصف غرضه فيقول: "إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصوراً على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب بل من الممكن أيضًا أن نقول إنه بناءً على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا بابًا من أبواب تاريخ الروح الإنساني، وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح Science De Lespirit يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها".(١)

ويرى الباحث: أن جويدي أخطأ في بعض جزئيات التعريف، فالتبادل بين الشرق والغرب في حكم المعدوم. والواقع أن الاستشراق وسيلة للنفوذ من جانب واحد فقط، "إلا إن كان يقصد أن يشارك الغرب بعلمائه ومفكريه وكتابه وشعرائه، ومختلف التخصصات العلمية والوظيفية، الشرقَ بمادته المدروسة العلمية، سواء كانت جغرافيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا أو دينيًا أو حضاريًا".(٢)

أما العالم البلقاني أحمد سمايلوفتش(٣) فيعرف الاستشراق بقوله: إنه بناءً على قواعد الصّرف وعلم الاشتقاق يكون معنى استشرق أي أدخل نفسه في أهل الشرق وصار

الجغرافيا، والتاريخ واللّغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوروبا خصوصا بإيطاليا وجداول كتاب الأغاني، توفي سنة ١٣٥٤هـ، انظر: العقيقي، المستشرقون، ص:(١/ ٤٤١). والزركلي، الأعلام (٨/ ٥٢).

(١) ميكائيل انجلو جويدي، علم الشرق وتاريخ العمران، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٤٩ه، ص:(١١/ ١٤).

(٢) جميلة ملوكي، الاستشراق في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد٢، ص:(٩٥)،٢٠١١م.

(٣) أحمد سمايلوفتش: أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية، عمل بكلية الدراسات الإسلامية بسراييفو (يوغسلافيا سابقًا)، عمل رئيسًا للمشيخة الإسلامية بجمهوريات البوسنة الهرسك وكرواتيا وسلوفنيا، له كتاب فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، توفي في عام ١٩٨٨م، انظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق (صفحة الغلاف).

منهم"[١]، وهو مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماة وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير [٢]

ويرتضي الباحث التعريف التالي للاستشراق:

الاستشراق نهجٌ اتبعه علماء وباحثون ينتمون لدول استعمارية، أو غير استعمارية أيّـًا كان موقعها الجغرافي، لدراسة بعض الدول، وعقائدها، وعادات شعوبها، وما يتعلق بها، مع اختلاف أهدافهم[٣].

وأزعم أن هذا التعريف أقرب للصواب لدقة كلماته فالاستشراق نهجٌ والمقصود أن يَخرج بهذه الكلمة العلم؛ لأن الاستشراق في دراسته للإسلام ليس علمـًا، بل هو أيديولوجية[٤] معينة. ويؤكد ذلك زقزوق "الاستشراق عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات" .[٥]

أما وصف المستشرقين بأنهم علماء فلأن وصف الشخص أيّـًا كان بالعالِم لفظٌ واسع فضفاض،

---

(١) أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص:(٧٨).

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص:(١٢٦).

(٣) محمد الحربي، الصوفية في الكتابات الاستشراقية لويس ماسينيون وآنا ماري شيمل أنموذجًا، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة،١٤٣٩هـ. ص(٢٦).

(٤) أيديولوجيَّات: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة. انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، ص:(١/ ١٤٤) مادة (أ ي د ي و ل و ج ي ا).

(٥) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩ه ص:(١٢)، وما بعدها.



وليس هناك معيار محدد نستطيع بموجبه أن نقول إن هذا عالم وذاك غير عالم، وليس من المعقول أن نصف المستشرقين بأنهم غير علماء، لا سيما أن أغلبهم يحمل درجات علمية عالية، وله نتاج علمي، ويتحدث أكثر من لغة.

أما انتماؤهم لدول استعمارية أو غير استعمارية فالمستشرقون لا ينتمون دائما إلى دول استعمارية فألمانيا كمثال لم تكن دولة استعمارية.

وقلت في التعريف: بعض الدول بدلاً من كلمة الشرق، لأن كلمة الشرق اتجاه واسع ويمكن أن يدخل معها دول تقع في الشرق وهي ليست مسلمة.

واتفق في هذا التعريف مع ما أورده علي النملة من حيث غض النظر عن وجهة العلماء الجغرافية. لأن المحرك للدراسة ووصف تقاليد الشعوب الإسلامية يختلف من مستشرق لآخر، وقد جعل ماسينيون الهدف الاستعماري عمدة دعوته حمل المسلمين على ترك دينهم حتى يسهل استعمارهم.[1] وبعضهم كتب بدافع الحب كالمستشرقة آنا ماري شيمل.

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص:(٨٣).



المبحث الثاني: التاريخ البلقاني والاستشراق.

المطلب الأول: الفتح العثماني لبلاد البلقان:

كان أول ظهور الإسلام في البلقان عند وصول الفاتحين الأوائل إلى القسطنطينية في العامين الأخيرين من القرن الهجري الأوَّل بقيادة مسلمة بن عبد الملك [1] الذي فتح مدينة غالاتا، وبنى فيها أوَّل مسجد، وهو المسجد الشهير المعروف بمسجد العرب ، الذي حوَّله البيزنطيون إلى كنيسة و ظل كذلك حتى دخل العثمانيون المدينة فأُعيد مسجداً من جديد، وكان المسلمون قد وصلوا بقيادة مسلمة إلى أدرنه (Edirne) وسولون (Solun) فيما يعتبر أولَ حملة يقومون بها إلى شبه جزيرة البلقان [2] .

أما العثمانيون فقد بدأ تاريخهم في البلقان بدخولهم إليها بعد أن فتحوا مدينة غاليبولي [3] سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م [4] وكانت الجيوش العثمانية قد عبرت مضيق الدردنيل وسيطرت على المدن التي تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من اليونان، وحاول الصرب والبلغار استعادة المنطقة، لكنهم لم يصمدوا أمام السلطان بايزيد، الذي هزمهم هزيمة ساحقة في معركة «كوسوفا» عام ١٣٨٩م، والذي واصل تقدمه للسيطرة على بلاد الصرب في عام ١٣٩١م، ثم

---

(١) مسلمة بن عبد الملك ، هو : ابن مروان بن الحكم ، الأموي ، الدمشقي ، أبو سعيد و أبو الأصبغ ، أمير و فاتح أموي .انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٤١ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٤٤ ، الأعلام ، للزركلي : ٧/ ٢٢.

(٢) انظر : مُحمَّد قاروط ، الإسلام في يوغسلافيا، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ص:(٥٣):

(٣) غاليبولي : مدينة ساحليَّة و ميناءٌ هام، يُطلُّ على مضيق الدر دنيل، قرب جزيرة غاليبولي الواقعة ضمن الحدود الحالية لتركيا، وتسمى بالتركية (غليبولو)، على بعد ١٤٠ ميلاً من مدينة أدرنة، انظر: دائرة المعارف اليوغسلافيَّة : ٨/ ٢١٤ و : الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٥٩٦ .

(٤) انظر: حامد عثمان، المسلمون في العالم ، قضايا وتحديات، ص:(٣٨١).

بلغاريا، ثم توقف الزحف العثماني بعد ذلك بسـبب غزو جحافل تيمورلنك المغولي لمنطقة الأناضول.

لكن العثمانيين أعادوا تشـكيل قوتهم من جديد وتمكنوا من توسـيع دولتهم، فعادوا إلى غزو أوروبا من جديد، واسـتطاعوا الاسـتيلاء على ألبانيا وسـلونيكا عام ١٤٣٠م، ثم صـربيا عام ١٤٣٩م، ثم تم فتح القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣م ، على يد السلطان محمد الفاتح.



وفي نفس العـام وقـع ميناء «جـاليبولي» في أيـدي المسـلمين، وهـو مـا سـهل السـيطرة علـى شـبه جزيـرة البلقـان، ثـم توجهـت الجيـوش العثمانيـة جنوبًـا إلـى بقيـة اليونـان عـام ١٤٥٨م، ثم البوسنة عام ١٤٦٣، وبعدها رومانيا عام ١٤٧٥م.

المطلب الثاني زوال الحكم العثماني في البلقان.

كما هي سـنة الله في كل الأمم والأجناد، وبعد أن بلغت الدولة العثمانية أوج عظمتها آذن الله بزوالها لحكمة يعلمها سـبحانه واتفق المؤرخون على أن عظمة الدولة العثمانية قد انتهت بوفاة السلطان العثماني سليمان القانوني عام (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) وكانت مقدمات ضعف الدولة قد اتضحت في عهد السلطان سليمان[1]، وفي عام ١٨٧٥، حصل تمرّد في البوسنة والهرسك وذُبِحَ المسـلمون في بعض القرى، إلا أن الجنود العثمانيين تمكنوا من ردع التمرّد في أول الأمر ، وفي عام ١٩١٢م، وقعت معاهدة هجومية دفاعية بين حكومتي "بلغراد" و"صوفيا" تهدف إلى محو السلطة العثمانية.

ثم تولت مملكة صـربيا ومملكة الجبل الأسـود ومملكة اليونان ومملكة بلغاريا، مهمة اسـقاط الدولة العثمانية بما يسـمى بحرب البلقان الأولى ثم جاءت حروب البلقان بين عامي ١٣٣٠ هـ ، و ١٣٣١ هـ لكي تنهي ما تبقى من النفوذ العثماني في منطقة البلقان ، حيث ارتسـمت صـورة

(١) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط١، ١٤٢١هـ.ص:(٤٤).

طبيعيَّة للتكاتف النصرانـــي ضـــد الدولة التي ترفع رايـــــة الإسلام، و انعكست فيها مراحل التخلُّص من النفوذ العثماني باستخدام شـتى الوسـائل، و قد تمخَّضـت هذه الحروب – التي انتهت رسـميًّا بالتوقيع على معاهدة لندن عام ١٣٣١ هـــ / ١٩١٣ م عن خسـارة كبيرة للدولة العثمانيَّة حيث فقدت أكثر من ٨٣ بالمئة من الأراضــي التي كانت تحكمها في البلقان(١) ، منهية بذلك عدة قرون من الوجود العثماني في المنطقة

المطلب الثالث: دور المستشرقين في الحروب البلقانية.

كعادة أغلب المستشرقين أينما حلوا فدورهم إذكاء الحروب وإشعال فتيلها وهدم الإسلام بطريقة ما يمكن تسـميته بالحرب الناعمة، ويُنقل عن نورمان سـيغار قوله: "إنَّ المســتشـرقين الصــرب عـادةً لا يرغبون في اجتذاب أكثر من انتباه عـابر نحوهم. فعلمهم ضـئيل، وعـددهم كإنجازهم قليل. غير أنَّ ما يضفي عليهم أهميةً هو علاقتهم وموقفهم من السياسة تجاه مسلمي البوسـنة والهرسـك، فقد كانوا في الجبهة الأمامية للحركة المعادية لوجود المسـلمين منذ سـنة ١٩٨٠، وسـاهموا بقدرٍ كبيرٍ في إبادة المسـلمين من خلال إيجاد هذه العملية وجعلها مقبولةً وسط جميع قطاعات المجتمع الصربي".(٢)

وقد اشـتهر من المسـتشـرقين العدوانيين ياسـنا شـاميتش وهي الأسـتاذة المسـاعدة للأدب التركي في قسـم الاسـتشـراق في جامعة سـراييفو التي اشـتهرت بمقالاتها التي تنتقد فيها ما تسميه الخطر الإسلامي على سراييفو، وذلك مع تصاعد الإسلام فوبيا في الغرب التي أصبحت تركز على البلقان بمسميات مختلفة. وكانت عندما تكتب أو تُدعى لإلقاء محاضرة ضد الخطر الإسلامي كان يشار إليها باعتبارها مستشرقة أو متخصصة في الإســلام حتى تــكون لما تقوله

---

٢ الدكتور فهد بن عبد الله السـماري، المسـلمون في البوسـنة والهرسـك من مآسـي الماضـي إلى معاناة اليوم، ص:(١٤)

(٢) انظر: كاريتش، أنس، الصرب يثيرون الكراهية ضد المسلمين في البلقان، صحيفة الشرق الأوسط، ٨١٨٣ (الثلاثاء ٣٠ محرم ١٤٢٢هـ).

مـــصداقية[١]، وسخرت كتاباتها ضد الحجاب ودور العرب في إنتاج إسلام يقوم على إخضاع المرأة من خلال الحجاب.[٢]



كان دور المستـشـرقين هو التبرير والتحضـير لما يحدث نظرًا لكونهم يقدمون للرأي العام آراءهم باعتبارهم خبراء، وحينما يتعلق الأمر بالمسـلمين فأنهم لا يألون جهداً في النيل منهم ففي بداية التسعينات شحنوا الرأي العام الصربي ضد المسلمين يساعدهم في ذلك السلطة التي حاولت تنميط الإسـلام والمسـلمين بشـكل منفر ينغرس في النفوس ويجعل هذه النفوس مشحونة ومستعدة لعمل أي شيء ضد الآخر.

وألحّ المستـشـرقون على فكرة أن المسـلمين ينتمون إلى ديانة أو ثقافة غريبة وهذا يؤدي إلى القول أن المسلمين لا مكان لهم في أوربا فيقول المستشرق الصربي الكسندر بوبوفيتش الأستاذ في جامعة السوبرون " الإسلام نظام شمولي لا يمكن لأي روح أن تفهمها أو تتخيلها وينتقدون تمسك المسلمين بثقافتهم الإسلامية التي لا يوجد بزعمهم ما يجمعها مع الحضارة الأوربية[٣].

ومن باب الإنصـاف يمكن القول إن الدور السيئ للمستـشـرقين ليس حكمًا مطردًا بل فيهم مع قلة عددهم من آثر الصـمت على الأقل في مثل هذه الظروف الصـعبة مثل راده بوجوفيتش وفويسلاف سيميتش[٤]

---

(١) ماكس هرتون، مراجعة فقه لغويه لمحاولات ترجمة نصـوص الحلاج، ترجمة أبو يعرب المرزوقي، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٨٥، ص:(١٢)، ١٩٩٧م.

(٢) انظر النسخة الإلكترونية للجريدة الصربية نوفينه E.Novine بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٦.

٣ انظر: http://www.alawan.org/%D8%B9%D9%86. في تاريخ ١٤٤٠/١١/١٠هـ

(٤) انظر: محمَّد م. الأرناؤوط. مراجعة الاستـشـراق: ثنائية الذات/ الآخر نموذج يوغوسـلافيا، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م، ص:(١١٧).

المبحث الثالث: أشهر معاهد الاستشراق البلقاني.

الاستشراق البلقاني قد تأثَّر ابتداءً بالاستشراق الروسي؛ لعوامل الجوار والمشاركة في الخلفية الدينية الأرثوذكسية لمعظم نصارى البلقان، ثم بعد ذلك فرض الأنموذج الروسي الاشتراكي في السياسة والاقتصاد، ثم العودة للخلفية الدينية، بعد انقشاع الشيوعية والاشتراكية تدريجيًا (١٩٩١ – ١٩٩٢م) من المسرح السياسي والاقتصادي في المنطقة. [١] وربّما تأثَّر الاستشراق البلقاني بالاستشراق المجري الثري بالمستشرقين، بحكم القرب. باعتبار دولة المجر (هنجاريا) ليست من دول البلقان. [٢]



- **معهد بلغراد الاستشراقي.**

تأسس هذا المعهد في جامعة بلغراد عام ١٩٢٦ ورأسه بوسني، هو فهيم بايراكتاروفيتش، وكان يمثل انقلابا في مفهوم الاستشراق، كانت به مكتبه غنية بالمخطوطات والوثائق ويصدر مجلة كانت تسمى «إسهامات في الفيلولوجيا الشرقية»، وكانت هي الوحيدة من نوعها في البلقان وغدت معروفة في أوروبا الغربية بتعابير تلك الأيام.

وبه مخطوطات يبلغ عددها أكثر من ٥٢٦٣ مخطوطة في اللغات العربية والتركية والفارسية والبوسنية بالحروف العربية، وكانت تجتذب الباحثين من كل مكان ويعمل عليها الباحثون في المعهد فيما يقومون به من أبحاث للنشر سواء في مجلة المعهد أو ضمن إصدارات المعهد، التي توزعت على عدة سلاسل. وإلى جانب ذلك فقد

---

(١) انظر: سعدون محمود الساموك، الاستشراق الروسي، دراسة تاريخية شاملة، عمَّان: دار المناهج، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص:(١٦٥).

(٢) انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، ط٥، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م، الصفحات (٣٦ الى ٥٠).

احتوى المعهد على نحو ربع مليون وثيقة تتعلق بتاريخ البوسنة خلال الحكم العثماني للبوسنة.

ولا غرابة إذا علم أن وثيقة التأسيس قد نصت على أن أهداف المعهد تركز على «جمع ونشر المخطوطات الشرقية والوثائق المتعلقة بالبوسنة، ودراسة اللغات العربية والتركية والفارسية وآدابها وتأثيرها في لغة البوسنة وثقافتها، ودراسة ثقافة البوسنة في اللغات الشرقية.



- **معهد سراييفو الاستشراقي**

يعد معهد سراييفو الاستشراقي ثاني معهد أسس بعد معهد بلغراد الاستشراقي، وافتتح هذا المعهد في جامعة سراييفو في عام ١٩٥٠ م، ومثل انقلابا في مفهوم الاستشراق، وأصبح يسمى بمدرسة سراييفو تمييزاً عن معهد بلغراد

كان المعهد آنذاك مهيبًا بكوادره، ومكتبته الغنية بالمخطوطات والوثائق ومعروفا بمجلته «إسهامات في الفيلولوجيا الشرقية»، التي كانت الوحيدة من نوعها في يوغوسلافيا السابقة والتي غدت معروفة في أوروبا الغربية بتعابير تلك الأيام.

كان المعهد يمتلك واحدة من أغنى مجموعات المخطوطات الشرقية في البلقان، وأصبح توجه المعهد وإقباله نحو دراسة التراث الشرقي الموجود في البوسنة ولأجل هذا التوجه أصبح المعهد هدفًا للهجوم من قبل بعض المستشرقين الصرب الذين كانوا ينتمون إلى المدرسة الاستشراقية التقليدية أو المركزية الأوروبية. فاستهدف في الحرب الصربية أثناء محاصرة سراييفو وقصف في بداية الحرب وحول إلى حطام وضاع في ساعات تراث إنساني من المخطوطات استغرق قرونا لكي يصل إلى ما كان عليه.

المبحث الرابع: خصائص الاستشراق البلقاني وأثره على المسلمين.

المطلب الأول: خصائص الاستشراق البلقاني.

لا شك أن للاستشراق البلقاني خصائص تميزه عن غيره ولعل من أبرزها أنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقافة الشعوب الشرقية. ولعل ذلك بسبب تفكُّك يوغوسلافيا واستقلال البلدان التي كانت تحت سيطرتها، مثل البوسنة والهرسك وكوسوفا حيث اتجه إلى الاهتمام بالتراث البوسني والكوسوفي المكتوب بالعربية كما يذكر سليمان غروزدانيتش (١٩٣٣ – ١٩٩٦م)،(١) الذي أمضى حياته العلمية في خدمة الثقافة العربية الإسلامية.(٢) ومن ذلك العناية بالمخطوطات الإسلامية المكتوبة باللغة العربية.(٣) والعناية بتدريس اللغة العربية في الجامعات البلقانية، على تفاوت في العناية بهذا المسار.(٤) وترجمة بعض الآثار البلقانية إلى اللغة العربية،(٥) وترجمة بعض الآثار العربية إلى بعض اللغات البلقانية.(٦).

ويختلف عن الاستشراق في البلدان التي يغلب عليها الطابع الأرثودوكسي والكاثوليكي، بحيث أبرز تفكُّك يوغوسلافيا مكنوناتٍ لا تنبئ عن لُحمة وطنية متجذِّرة، تتجاوز الاختلاف في الانتماءات الثقافية القائمة على الدين أو الفكر، رغم ما

---

(١) انظر: محمد م. الأرناؤوط. البلقان من الشرق إلى الاستشراق، مرجع سابق، ص: (٢٢٤)

(٢) انظر: محمد م. الأرناؤوط. سليمان غروزدتنيتش، حياة في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، ص(٨٩– ٩٤) في: مراجعة الاستشراق: ثنائية الذات/ الآخر، نموذج يوغوسلافيا، مرجع سابق، ص:(١٥٠).

(٣) انظر: فتحي مهدي. المخطوطات العربية في ألبانيا وكوسوفا.ص:(٢٩٥ – ٣٠٢)، في: محمد م. الأرناؤوط/ محرِّر. العلاقات العربية ، البلقانية: الماضي – الحاضر، ص: (٤٤٦).

(٤) انظر: محمد م. الأرناؤوط/ محرِّر. العلاقات العربية – البلقانية: الماضي – الحاضر – المستقبل، مرجع سابق، ص: (٤٤٦).

(٥) انظر: المرجع السابق ، ص: (٤٤٦).

(٦)انظر: المرجع السابق ، ص: (٤٤٦).

يُشاع من تبنِّي المنهج العَلماني في هذه البلدان في السياسة والحياة.[١]

ومن ناحية أخرى فالاستشراق البلقاني يشبه الاستشراق الإسباني الذي يرى في نفسه أنه استعراب أكثر من كونه استشراقًا؛ لأنه يدرس ذاته، من حيث دراستُه للتراث الأندلُسي الإسلامي المكتوب باللغة العربية. [٢] فالإسبان يبحثون تاريخ بلادهم الثقافي والحضاري إبَّان الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الآيبيرية، فليسوا إذًا مستشرقين، ويفضِّلون أنْ يوصفوا بأنهم مستعربون.[٣]

وهو متأثر بالاستشراق المجري الثري بالمستشرقين، بحكم القرب الجغرافي ولأن المجر لاتعد من دول البلقان.

المطلب الثاني: أثر الاستشراق على المسلمين ودور علمائهم نحوه.

مما يؤسف له أن الحقبة التي أعقبت الحكم العثماني في منطقة البلقان كانت فرصة جيدة للحاقدين من المستشرقين، سعى فيها أولئك الحاقدين إلى إقصاء المسلمين وطمس هويتهم بل وتهجيرهم من أراضيهم واغتصاب ممتلكاتهم، وكان للمستشرقين الصرب أثرٌ في تأجيج الصراعات السياسية التي أُلبست لباسَ العرقية في مسارها الطويل رغم كثرة الكتابات عن هذا البُعد على أنه المؤجِّج الرئيس. [٤] وقد صدر بروتوكول ينصَّ على ترحيل المسلمين عن بلغراد[٥]!.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، مرجع سابق، ٢١٤ ص.

(٢) انظر: خوان غوتسيلُّو، في الاستشراق الإسباني، تعريب كاظم جهاد، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ١٩٨٧م، ص(١٥٣ – ١٦٣).

(٣) انظر: مصطفى عبدالغني، ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير، الاجتهاد، ٢٠٠١م – ١٤٢١/١٤٢٢هـ)، ص:(١١٧).

(٤) انظر: أنس كاريتش، الصرب يثيرون الكراهية ضد المسلمين في البلقان، صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٨١٨٣ (الثلاثاء ٣٠ محرم ١٤٢٢هـ).

(٥) انظر: محمد م. الأرناؤوط، البلقان من الشرق إلى الاستشراق، مرجع سابق، ص :(٢٢٤)

وخلاصة القول إنه منذ السبعينات من القرن العشرين الميلادي المنصرم بذل المستشرقون البلقان جهودًا كبيرةً في مشروع إخراج المسلمين ذوي الأعراق المختلفة، من شبه الجزيرة البلقانية، بعد أنْ لم ينجح الإلحاد والشيوعية في محو الهوية الدينية، الإسلامية والمسيحية من هذه البقعة من العالم، كما فشل في غيرها.

وهنا برزت جهود علماء المسلمين كرد فعل فبدأت الحكومات أولاً بتقديم يد المساعدة إلى الشعوب البلقانية وإعمار ما دمرته الحروب وأخذت المراكز دوراً مهمًا تمثل في الاهتمام بالتراث الإسلامي فبدأ مركز أرسيكا بعقد سلسلة من الدورات بغية زيادة الوعي بأهمية التراث العمراني والمحافظة عليها واستهدف الطلاب الجامعيون أصحاب التخصصات العمرانية، واستهدف الأوقاف الإسلامية في منطقة البلقان وصدر عنه كتاب وقفيات بلغاريا.

أما العلماء المسلمين فأذكر عالمًا بشناقيًّا كان له أثر كبير في المجتمع البوسني. تخرَّج في القاهرة من كليَّة اللغة العربية بجامعة الأزهر بأطروحة عن فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي.(١) وهو أحمد سمايلوفتش (إسماعيلوفتش ١٣٥٨-١٤٠٨هـ) الذي حمل همَّ البوسنة والهرسك، وأسهم في بنائها الحديث، حتى قيل إنه مات همًّا وغمًّا - وهو ابن الخمسين عامًا - لما آلت إليه حال البلاد.(٢)

ومثله في الأهمية العلاَّمة الحافظ المحدِّث أبي عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرناؤوطي (١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ) - رحمه الله تعالى - المولود في أشقودرة العاصمة القديمة لألبانيا، وهو الأكثر شهرةً باسم محمد ناصر الدين الألباني، أو محمد نصر الدين الألباني. فقد بدأ حياته مصلِّحا

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م ص(٧٨٠).

(٢) انظر: محمود الأرناؤوط، أعلام التراث المعاصر، الكويت، دار العروبة، ١٤٢٢هـ، ص(١٦٤ - ١٦٦).



للساعات في الشام – كما يُذكر – ولذا لقِّب بالساعاتي، وكان حينها يواصل اعتناءه بالحديث الشريف، حتى ظهرت له جهودٌ كبيرة في الإسهام في حفظ سنَّة رسول الله ﷺ، وبيان درجات الأحاديث من حيث الصحَّة والضعف والوضع. وله في هذا عددٌ من الكتب المنشورة باللغة العربية فاقت المئتين واثنين وعشرين مؤلَّفًا، بالإضافة إلى الرسائل واللقاءات والمحاضرات والدروس الحديثية والجلسات. فهو عالمٌ ألبانيٌّ بلقاني الأصل مسلمٌ اعتنى بالحديث الشريف وله دور كبير في حفظه للأمة فرحمه الله رحمة واسعه وجزاه عنا خير الجزاء.

الخاتمـــة

وبعـدُ فقـد أنهيـتُ ولله الحمـد والمنـة هـذا البحـث، أسـأل الله تعـالى أن يتقبّـل منـي صـالح العمل، وأن يعفو عن الخطأ والزلل إنه سميع الدعاء.

ولعل أبرز نتائج البحث وتوصياته ما يلي:

١- لم يصل المستشرقون إلى تعريف محدد للاستشراق، يرتضيه الجميع.

٢- أن الاستشراق البلقاني يتشابه مع الاستشراق الروسي ويتقاطع معه في كثير من الأمور.

٣- أن الاستشراق البلقاني يشبه الاستشراق الإسباني الذي يرى في نفسه أنه استعراب أكثر من كونه استشراقًا؛ لأنه يدرس ذاته.

٤- الاسـتشـراق البلقاني متأثر كثيراً بالاسـتشـراق المجري الذي يتميز بكثرة المسـتشـرقين المنتمين له، ولعل تأثره بسبب القرب الجغرافي.

٥- كان للمستشرقين الصرب دور معادٍ للإسلام والمسلمين وكان لهم دور كبير في إذكاء ما يسمى بحروب البلقان.

وأوصـي في نهاية هذا البحث بدراسـة النتاج العلمي للمسـتشـرقين البلقان، وبذل الجهد للنقد العلمي الهادف للنتاج العلمي للمغرضـين. والاهتمام عمومـًا بنقد كتب المسـتشـرقين وآرائهم حول الإسلام؛ لما فيها الدّس والشّبهات على الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى ترجمة كتب المسـتشـرقين والرد عليها لبيان خطورة الآراء والأحكام التي روّجوا لها في كتبهم. وأتمنى أن ينبري طلاب العلم لدراسة وترجمة ما استجد من أعلام الاستشراق الذين لم يترجم لهم، وما كتب في هذا الباب قد أصبح الآن قديمـًا، فكتاب نجيب العقيقي صدر قبل أكثر من ثلاثين سنة، وكتاب عبد الرحمن بدوي مضى عليه ما يقارب عشرين عامـًا، ولم يأت بعدهما مايسد الحاجة -في نظري-.

تمت





مراجع البحـــــث

أولاً القرآن الكريم

ثانيًا المراجع الأخرى

١ جابر عبد الحميد وأحمد كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، ط، دار النهضة.

٢ جميلة ملوكي، الاستشراق في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد٢

٣ حامد عثمان، المسلمون في العالم، قضايا وتحديات.

٤ خوان غوتسيلُّو، في الاستشراق الإسباني، تعريب كاظم جهاد، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر.

٥ سعدون محمود الساموك، الاستشراق الروسي: دراسة تاريخية شاملة، عمَّان: دار المناهج،

٦ السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، العدد ٢٢

٧ عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، دراسات المستشرقين الألمان، ص: ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة.

٨ علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت

٩ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٠ فهد بن عبد الله السماري، المسلمون في البوسنة والهرسك من مآسي الماضي إلى معاناة اليوم.

١١ مازن مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك



فهد الوطنية، الرياض.

١٢ محمد الزيادي، الاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد ٨٥

١٣ محمد بن عيسى الحربي، ا لصوفية في الكتابات الاستشراقية لويس ماسينيون وآنا ماري شيمل أنموذجا، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

١٤ مُحمَّد قاروط ، الإسلام في يوغسلافيا، بيروت ، مؤسسة الرسالة.

١٥ محمَّد م.الأرناؤوط، مراجعة الاستشراق:ثنائية الذات الآخر نموذج يوغوسلافيا، بيروت، دار المدار الإسلامي.

١٦ محمد م.الأرناؤوط،سليمان غروزدتنيتش:حياة في خدمة الثقافة العربية الإسلامية.

١٧ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة.

١٨ مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٩ مصطفى عبدالغني.ترجمة جاك بيرك للقرآن:من القراءة إلى التفسير،الاجتهاد،٢٠٠١م.

٢٠ ميكائيل انجلو جويدي، علم الشرق وتاريخ العمران، المطبعة السلفية.

٢١ نجيب العقيقي، المستشرقون:موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، ط ، القاهرة:دار المعارف.

٢٢ الاستشراق والمستشرقين، مجلة عالم الفكر، العدد٣



فهرس البحث